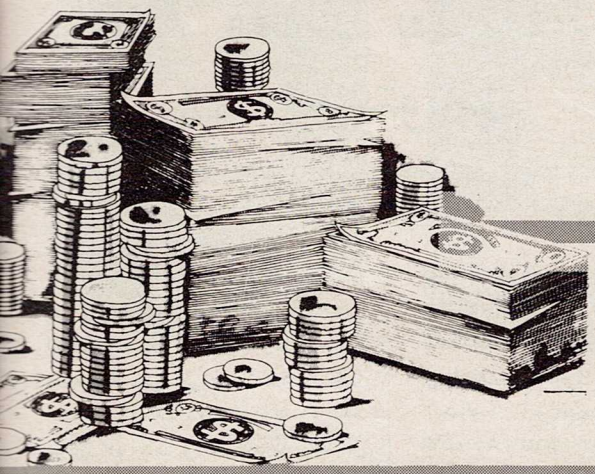

طرق كسب المال وانفاقه

(٢)

تحدث فضيلة الشيخ سليمان المدنى فى القسم الأول من محاضرة طرق كسب المال وانفاقه والذى نشر فى العدد الماضى عن آفات المال وذكر أن للمال آفات دنيوية وآفات أخروية وبين فضيلته أن الشح هو صرف المال فيما يجب صرفه فيه والسخاء هو بذل المال فى وجه يحسن الانفاق فيه ، وقال أن هناك مقصدين يتنافس فيه البشر فى الدنيا هما جمع المال والجاه أو حب الشهرة والذى هو توأم المال وتحدث فضيلته عن المقصد الأول وبين أوجه صرف المال فى الحلال وأوجه صرف المال فى الحرام بحيث يجب على المؤمن أن يكون حريصا على صرف المال وانفاقه فيما يرضى ا .

وفى القسم الثانى يتناول فضيلة المحاضر المقصد الثانى وهو الجاه وحب الشهرة .. فيقول :

المقصد الثاني فيما يتنافس فيه البشر في الدنيا الجاه وما معنى الجاه ؟ الجاه هو حب الشهرة وهو توأم المال في الاقدار الدنيوى ، ويقول النبي (ص) (ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم أضر على دين المسلم من حب المال والجاه) ويقول النبي (ص) (ان حب الجاه يبذر بذرة النفاق في القلب) انه يريد ان يتوصل به الى ما يريد ان يتوصل به صاحب المال .. بل يريد ان يصل الى مقصد لا يتمكن عليه صاحب المال ، والذي يدفع الناس الى حب المال والجاه هو امر واحد وهو الخوف من ليس فى قلبه خوف لا يكون من محبي المال ولا يكون من محبي الجاه .. الانسان دائما لا يقدّر انه سيموت غدا وانما يقدّر الحياة ويهتم بالحياة وهو دائما وابدا يرغب في الحياة وفي بقاء الحياة ، ولكن وهو يقدر أنه سيعيش يخاف أن ينفذ المال الذى في يده وعندئذ لا يجد من المال ما يتمكن به من تحقيق اغراضه ومشتهياته اذ ربما تسلط احد فاتلف هذا المال او نزلت افة سماوية فاتلفت هذا المال ، او اصابه خطر او امر عظيم فصرف فيه هذا المال ، فيندفع الى ايجاد مال آخر حتى اذا تلف هذا المال يكون عنده المال الاخر يعتمد عليه . وبعد أن يتحقق عنده المال الآخر ايضا يخشى ويزداد به الخوف في ان يذهب المالان فيبذل جهده في ايجاد مال ثالث وهكذا لا تستقر نفسه حتى يملك الدنيا كلها ، وطبعا ما هو بمالكها كلها فيموت وهو يستشعر الخوف .

صاحب الجاه ايضا.. فالذي يدفعه الى حب الجاه هو الخوف.. فهو يحب ان يشتهر في بلده، صاحب المال يعتمد في تصريف أموره على الاسترقاق، يشترى العبيد، يضع الأجراء وغير ذلك، وعادة الاسترقاق اجباري قهرا وغلبا، فالعبد يخدم ويطيع ليس برضاه ولو استطاع ان ينسل من الطاعة لهرب والاجير لو تمكن ان يعيش بدون الاجرة لما أدى العمل لهذا الانسان.. فاذن صاحب المال يعتمد على الاسترقاق عن طريق القهر والغلبة، في الاصل كان يعتمد على العبيد.. وولى زمن العبيد فاصبح يستعمل الاجراء وهو لاشك فيه نوع من الاسترقاق ولكن ليس استرقاقا بذلك المعنى.. صاحب الجاه اخطر من طالب المال لانه يريد استرقاق الاحرار ويريد العبودية عن طاعة واذعان وليس بالقهر والغلبة، لا عن طريق السلطان ولا عن طريق المال. صاحب الجاه الذي يعمل في سبيل الجاه.. لماذا ؟ لان الجاه عادة يعتمد على اذعان القلوب اذعان النفوس حب الناس فهو يقود باظهار ما يحببه الى الناس ما يضطر قلوب الناس الى الاذعان اليه.. فاذا اذعنت قلوبهم، طبعا فاجسامهم مسخّرة لقلوبهم.. أموالهم مسخرة لقلوبهم.. الانسان دائما مسخر لقلبه، فهذا في الحقيقة استرقه.. صار صاحب المال يقدم اليه ماله راضيا وصار هذا الانسان يعينه على اموره ويحترمه ويفضله ولا ينازعه عن رضى وطوع.. نوع من استعباد الاحرار، استرقاق الاحرار، الذي دفعه الى ذلك هو الخوف، فهو لا يكتفي بان يكون مثلا محبوبا في بلده، لانه يعتقد انه ربما تجبره الظروف وتضطره الى الخروج عن البلد او احد من تلك البلد ينتقل الى تلك البلد، فيعمل على ايصال شهرته الى البلدان البعيدة والاقطار الاخرى التى يعلم انه لن يطأها في يوم من الايام.. لماذا ؟ لاحتمال ان تلم به كارثة توجب له الخروج من بلده الى تلك البلاد.. او ان احدا من تلك البلاد تلم به حادثة وتخرجه الى هذه البلاد..

فاذن الدافع الى حب المال هو الدافع الى حب الجاه.. وحب الجاه اخطر من حب المال وهو عندهم مقدم على حب المال ولذلك يضحى الناس بالمال من اجل الجاه ولا يضحون بالجاه من اجل المال.. فهذا دليل على ان صاحب الجاه يتوصل الى مطالبه ويتوصل الى مشتهياته واغراضه بطرق ايسر من صاحب المال اضافة الى ذلك ان الآفات الدنيوية التى تقترن بالمال في الغالب لا تقترن بالجاه.. المال يخسر في التجارة، المال تتسلط عليه السُرّاق يتسلط عليه الملوك والحكام، يتسلط عليه الظلمة، يتسلط عليه الاصدقاء والاعداء.. اما الجاه فهو على العكس من ذلك، لا يتسلط عليه أحد، بل لا يمكن لاحد ان يتسلط عليه.. نعم قد يوجد منافس ويحاول ان يعمل على تغيير حال القلوب، ان يزيل اذعانها لذلك الشخص، يزيل محبوبيّتها عن ذلك الشخص وهذا بالاضافة الى انها في حد ذاتها عملية شاقة وعسيرة فان دفعه ايسر واسهل من دفع صاحب المال، الاثام والذنوب التى تترتب على محب الجاه اكثر من الاثام والذنوب التى تكون على صاحب المال ايضا.. لان وان كانت النتيجة واحدة هذا يريد ان يستعبد العبيد وهذا يريد ان يستعبد الاحرار، لكن النتائج اكثر، والاعمال التى يرتكبها محب الجاه

الذى يدفع الانسان الى حب المال والجاه هو الخوف ومن ليس فى قلبه خوف لا يكون من محبى المال والجاه

الدرس التاسع عشر لفضيلة الشيخ سليمان المدني

اعظم، محبّ الجاه منافق فهو لا يفكر في الحقيقة، ولا في نفسه وانما يفكر في ما يجلب حب الناس له وما يجمع ثناءهم عليه حتى لو اقتضى ذلك ترك ما يعتقده انه يجب عليه شرعا، اذا كان القيام بذلك الواجب مما يُنفّر الناس يتركه جلبا لمحبة الناس وهذا طبعا يقتضي ان ينافق الناس فيما يحبون دائما وابدا ينظر ماذا يجلب الثناء عند الناس ماذا يجلب الحب عند الناس حتى تتحدث الالسن بمدحه وحتى يخرس المنافسون عن الكلام عليه لكثرة من يعارضهم، ما الذي يجعل قلوب الناس تذعن ؟

لقد تكلمنا عن الجاه ولم نتكلم في حقيقة ما يجعل قلوب الناس مذعنة.. الذي يجعل قلوب الناس مذعنة هو صفات الكمال وعندما نقول صفات الكمال قد لا تكون في حقيقتها كمالا.. قد تكون نقصا ولكن اذا اعتقد انسان بصفة كمال في انسان آخر انقاد له فورا واحبه واذعن له فكلما وجدت فيه صفات اكثر هي في نظر الطرف الاخر موضع صفات كلما صار الانقياد أشد وكلما صارت الطاعة اعظم، وكلما صار الحب اعظم، قد لا تكون تلك الصفة في حد ذاتها كمالا، وانما نسميها صفة الكمال باعتبار انها محل اعتقاد الكمالية لا انها يلزم في حد ذاتها ان تكون كمالا.. لو فكر فيها الطرف الاخر لوجدها نقصا، ولكن باعتبار ان الطرف الاخر يعتبرها كمالا يذعن لصاحبها، مثال ذلك التظاهر بالعلم، التظاهر بالورع، استغلال الدين، فان محبي الجاه يستغلون الناحية الدينية اكثر من غيرها، التظاهر بالانبساط وحسن الخلق والتواضع، الانبساط مثلا في الشدة على الاعداء وفي المنابذة وغير ذلك، في التصلب في بعض المواقف، كل ذلك في حسب ظاهره عند من يشاهده كمالا، فيذعن قلبه، اما ما هي حقيقة ذلك الشخص طبعا اذا اذعن قلبه تحدث لسانه بالمدح، هذا المدح يجلب مذعنا آخر وهكذا تكون تنمية الجاه بوسائلها ايسر بكثير من تنمية المال.. صاحب الجاه اذن يضطر دائما الى الرياء والى اظهار ما لا يعتقد.. احيانا هذا هو السبب الظاهر لحب الجاه وهو يشارك المال، وهناك سبب خفي لحب الناس في الجاه، نتكلم عليه مرة اخرى.

●● وبعد انتهاء هذا الفصل من المحاضرة أوضح المحاضر فضيلة الشيخ سليمان المدني بعض الجوانب المتعلقة بحب الجاه في معرض رده على بعض الاستفسارات، نوردها فيما يلي لاكمال الفائدة..

■ ان الاذعان لمحب الجاه اذعان لله سبحانه وتعالى، ان الاذعان لكلمة الناقل عن الائمة عليهم السلام في الحقيقة اذعان للأئمة.

يقول الصادق عليه السلام «من استمع الى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق ينطق عن الله فقد عَبَد الله، وان كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، والمرء لابد وان يستمع الى الناطق..

■ الزهد له مراتب ثلاث، زهد الخائفين وهو الذي يتجنب الحرام خوفا من عقاب الله، وزهد الراغبين وهو الذي يتجنب الحرام رغبة في ثواب الله، وزهد العارفين، وهو الذي يتجنب الحرام ارضاء لله، ليس خوفا من عقابه ولا رغبة في ثوابه، والزهد في حد ذاته يكون اقساما زهد في الحرام وزهد في الحلال وهو مخرج من عرفات القيامة وزهد في الحرام والمتشابهات وهذا مربح من العتاب، ولكن الزهد المخرج من عرفات القيامة، هو الزهد حتى في الحلال، والزهد في الحلال ليس تركه، أن لا يأسف على ما فاته ولا يفرح بما أتاه.. فالامام يتكلم عن أرقى انواع الزهد..

■ فيما يتعلق بالتقليد، ينبغي ان يعرف المرء الشخص الذي يقلده في هذا المجال من هو، وكيف تعرف الشخص من هو وما هو بدون العلم ؟.. فالذي تقلده يجب ان تعرف من هو وما هو وليس أى شخص، وليس كل من قال انا محل التقليد وجب تقليده. فما يدريك من عدم خداعه ؟.. ثم لنا ان نتساءل ايهما افضل، الذي يقلد وهو لا يفهم شيئا او الذي يقلد بعد دراسة ؟ فلا شك ان الذي يقلد بعد دراسة هو الافضل.. ومن هو الافضل الذي يقلد عن دراسة او الذي لا يقلد أبدا ؟.. الذي لا يقلد طبعا افضل، فالذي يستغنى عن حاجته عن التقليد افضل من الذي يحتاج الى التقليد..

■ من أمثلة اسباب التميز وحب الجاه وحب الزعامة، ذلك الذي يريد ان يكون زعيما على جماعة من الناس ورئيسا عليهم يذعنون اليه وينقادون اليه ويعظمونه ويحترمونه.. لو كان مؤمنا لما احب الرئاسة، وقد ذكرنا في محاضرات سابقة عن تلبيسات ابليس، وهذه تنطبق على ما نذكره هنا من حب الزعامة، فابليس لا يستطيع ان يأتي الى المؤمن ويطلب منه ان يفعل المعاصي، لانه يعرف ان المؤمن لا يطاوعه في هذه الأمور..

فيأتي الى هذا الشخص المحب للزعامة ويقول له كيف تترك ذلك الجاهل يعلم الناس ويضللهم وانت صاحب المقام والمفروض ان تظهر نفسك، ليس من اجل نفسك وليس من اجل الرئاسة والزعامة، وانما من اجل انقاذ المؤمنين من الضياع، فيندفع ذلك الشخص في البداية بنية حسنة لكن بعد ذلك يستحلي تقدير الناس واحترامهم، فلو وجد شخص آخر مثلا يزاحمه في ذلك، فانه اذا لم يظاهره بالتنافر فعلى الاقل يحمل له في نفسه شيئا، فهو في الحقيقة تحول عن المقصد الاول، واذا كان هناك واجب شرعي يستدعي ان يكون في القوم رئيسا وانحصر ذلك في الشخص وجب عليه قبوله، فهنا هو لا يحب ذلك، انما يقبله لانه انحصر فيه وواجب عليه شرحا وليس بقصد الحب، فاذا دخل من هذا المدخل فهو ليس مأثوم بل مثاب، ولكن اذا استحلى الزعامة واستلذ بها فهنا يكون العكس. ان كثيرا من المؤمنين في البداية يندفع بحسن نية مع الله سبحانه وتعالى ولكن بعد ذلك تدخل مقاصد اخرى.